

تأثير القرآن الكريم على الشعر العربي في عصر صدر الإسلام

*الأستاذ الدكتور الحافظ عبدالرحيم

**جاويد إقبال ورضوان أحمد جان

Abstract

The introduction, purpose and signification of the Sacred and the Holy Qur'an has been described in this article. The Holy Qur'an has impacted on Arabic language and literature, especially to the Arabic poetry. In early age of Islam, poetry was radically replaced by ideas and concepts generated by the Holy Qur'an, especially those related to God, man, universe, good and evil, and hereafter etc. The Holy Qur'an has denounced poets who roam about in every valley of imagination and fancy and are followed by the miss-guided ones, but at the same time it has exempted poets with strong faith in Allah and doing good deeds from this judgment. The Holy Prophet (peace be upon him) has regarded some poetry and rhetoric as the fountain of wisdom and magical impact respectively. Islam did not kill the poetic spark amongst the Arabs nor prevented them from going ahead in poetic creation; rather it has encouraged poetic genius, exploited especially to promote the message of Islam. The literary person and poets of Arab and non-Arab were so impressed by the words and meaning of the Qur'an and its ways that we see a sub-line impact of the Holy Qur'an on their language, diction, ways, art and literature.

Key Words: Impressed Words, Meaning, Qur'an. Poetry. Impact.

الملخص

تم وصف مقدمة القرآن الكريم وغرضها ودلالاتها في هذه المقالة. لقد أثر القرآن على اللغة العربية وآدابها، وخاصة الشعر العربي في سن الإسلام المبكرة، حيث تم استبدال الشعر بشكل جذري بالأفكار والمفاهيم التي ولدها القرآن الكريم، وخاصة تلك المتعلقة بالله، والإنسان، والكون، والخير والشر. وقد شجب القرآن الحكيم الشعراء الذين يتحولون في كل وادي الخيال وتليهم من قبل الموجهين، ولكن في الوقت نفسه فقد أعفى الشعراء ذوي الإيمان القوي بالله والقيام بالأعمال الصالحة

* رئيس قسم اللغة العربية، جامعة بماء الدين زكريا ملتان.

** باحثان في دكتوراه العربية.

من هذا الحكم. وقد اعتبر الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) بعض الشعر والبلاغة مثل ينبوع الحكمة وتأثير سحري على التوالي. لم يقتل الإسلام الشرارة الشعرية بين العرب ولم يمنعهم من المضي قدماً في الخلق الشعري. بالأحرى أنها شجعت العبقرية الشعرية، مستغلة بشكل خاص لتعزيز رسالة الإسلام. كان الشخص الأدبي والشعراء العرب وغير العرب قد تأثروا كثيراً بكلمات ومعاني القرآن وطرقه التي نرى أثراً فرعياً للقرآن الكريم على لغتهم، والكلام، والطرق، والفن والأدب.

تمهيد

إن القرآن الكريم خير مؤدب للنفس المؤمنة بما يعود عليها بالفائدة، والصلاح في الحياة الدنيا والآخرة. وهو يعالج النفس الإنسانية معالجة دقيقة مما قد يعلق بها من أدران الحياة الفانية. فللقرآن الكريم منهج رباني في تربية نفوس المسلمين. قال الله تبارك وتعالى مبيناً هذه الحقيقة الخالدة عنه: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ²

وإن أهداف القرآن الحكيم أهداف نبيلة سامية، تسمو أهدافه بالنفس المؤمنة المطمئنة إلى رفيع الدرجات بعد اكتمال نموها، فتغدو في مصاف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ويتضح المنهج القرآني في تربية الأديب وبخاصة الشاعر المسلم في قول الله تبارك وتعالى عن الشعراء الذين خصص لهم سورة باسمهم في الذكر الحكيم حيث قال الله تعالى: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَدْعُونَهمُ وَيَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا³

وقد وردت في سبب نزول هذه الآية الخاصة بالشعراء أقوال عديدة وتفسيرات كثيرة، ومنها قول الضحّاك: تطاجى رجلان أحدهما أنصاري، والآخر مهاجر على عهد رسول الله مع كل واحد غواة قومه، وهم السفهاء، فنزلت هذه الآية. وبهذا قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، وعنه: (وهم الرواة للشعر) وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم (هم الكفار يتهمون بضلال الجن والإنس).⁴

2 فصلت 41: 24

3 الشعراء 19: 224، 225، 226، 227.

4 القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبدالله، (ت: 671هـ) الجامع لأحكام تفسير قرطبي، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ)،

بل لقد قيل في هذه الآية: إنها نزلت في عبدالله بن الزبيرى أحد شعراء مشركى مكة قبل إسلامه، ونزلت في مسامع بن عبد مناف وأميه بن أبى الصلت شاعر ثقيف فى الجاهلية. وقيل كذلك إنها نزلت فى أبى عزة الجمحى حيث قال:

ألا ابلغا عني النبي محمداً
بأنك حق والمليك حميداً
ولكن إذا ذكرت بداراً وأهله
تأوه مني أعظم و جلوداً⁵

وفى الحقيقة أن الشعراء انقسموا فريقين إبان فجر الدعوة الإسلامية وبخاصة بعد انتهاء الفترة الملكية وبداية مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، فإذا بقرش لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام أو بالأحرى لم يكن لهم شعر يرقى إلى درجة شعر الفحول فى الجاهلية ليعادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة، وبخاصة دعوته.

وقد أفلحت قريش فى تكوين الفريق الأول من الشعراء الذى يمثل المعارضة المكونة من أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ومن عبدالله بن الزبيرى بن قيس السهمى القرشى، ومن ضرار بن الخطاب الفهري، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومى أخ أبى جهل، وأبى عزة الجمحى وعمرو بن العاص، وانضم إلى المجموعة المعارضة من الشعراء فى مكة أميه بن أبى الصلت الثقفى الذى كان يتمنى أن تنزل عليه النبوة فلما نزل الوحي على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتله حقه، فراح يحرض المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعاداته فى كل مكان.

أمّا الفريق الثانى من الشعراء فأولئك هم الذين أنار الله قلوبهم وهداهم إلى الإسلام فوهبوا نفوسهم وأموالهم وما يملكون من شعر للذود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والجهاد فى سبيل الله إعلاء لكلمة الحق تبارك وتعالى، ودفاعاً عن الدين الإسلامى الحنيف، ضد أعداء الله والدين من المشركين واليهود والمنافقين، فوهب شعراء للأنصار الثلاثة نفوسهم للدعوة الإسلامية وهو: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة رضى الله عنهم أجمعين. وبذل الشعراء المهاجرون وشعراءهم نفوسهم رخيصة فى سبيل نصرة الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامى الحنيف، وهم: عبدالله بن جحش وعبيد بن جيش وعثمان بن مظعون وعبدالله بن الحارث السهمى وغيرهم.

وأخذ شعراء الأنصار مع إخوانهم شعراء المهاجرين فى الوقوف ضد الشعراء المشركين الذين شهروا سلاح الشعر فى وجه الدعوة الإسلامية وهدموا ما بناه الإسلام والرسول الأكرم محمد صلى الله عليه

5 نفى، الدكتور محمود حسن، دراسات فى أدب الدعوة الإسلامية، (1428هـ/2006م) ص54.

وآله وسلم، وفاتروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه شاعر وساحر ومجنون. ومن أجل هذا أنزل في حق شعراء المشركين قوله الكريم في سورة الشعراء: **وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَم تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَدْعُونَ وَيُكْفَرُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**⁶ وقد نزلت هذه الآية مؤكدة حال الشعر الوثني وحال الشعراء الجاهلين الكافرين في شعرهم، وأن القرآن الكريم ليس بشعر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بشاعر وليس بساحر وليس مجنون ولا كاهن، وليس كما كان يدعى خصوم الإسلام إبان بغض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بين القرآن الكريم حال الشعراء المسلمين الذين استثناهم في الآية بقول تبارك وتعالى: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**..... فكان هؤلاء هم شعراء الدعوة الإسلامية الذين برأهم الله تبارك وتعالى من الغواية والضلال وأنهم يمثلون بحق شعر الدعوة الإسلامية.

آراء المستشرقين

1- رأى بروكلمان الألماني:

انفرد بروكلمان بأحكام معتدلة دون سائر أقرانه من المستشرقين على لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المسلم الذي عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين أغفلهم بروكلمان في تقسيمه لمراحل الأدب. فلقد أعجب به كثيراً في شعره، وخالف في حكمه عليه عدداً كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب المحدثين. فلقد قال عنه: **”وما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينيه، وقد قيل: إن لبيداً لم يقل شعراً في الإسلام، وليس هذا بصحيح، فإن كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحي، ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة وإن ظهر فيها شيء من التزويد عليه“**⁷.

واستشهد بروكلمان في حكمه على لبيد، الذي أثر فيه الإسلام تأثيراً قوياً، بقول أبي عمرو بن العلاء عنه: **”ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عزوجل، وإسلامه، ولذكره الدين والخير، ولكن شعره وحي...“**⁸.

يقول في بعض أبيات القصيدة الكثيرة:

وإلى الله يستقر القرار	إنما يحفظ التقى الأبرار
وإلى الله ترجعون وعند	الله ورد الأمور والإصدار

6 الشعراء: 19: 224

7 كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبدالحليم نجار، (القاهرة: دار المعارف)، 145/1.

8 زيني، الدكتور محمود حسن، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ص 144.

كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَى كِتَاباً وَ عِلْماً وَلِئِذِهِ تَجَلَّتِ الْأَسْرَارُ
 إِنْ يَكُنْ فِي الْحَيَاةِ خَيْرٌ فَقَدْ أَنْظَرْتُ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ الْإِنْظَارُ
 عَشْتٌ دَهْرًا وَلَا يَدُومُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا يَرْمُومُ وَ تَعَارُ⁹

ولم يعتدل بروكلمان في حكمه على لبيد فحسب، بل ذهب كذلك يُبين فضل انتشار شعر شاعر آخر عاش في صدر الإسلام ألا وهو شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه ويبين كيف تعلق الناس به وبشعره في الأزمنة المتأخرة وعزا ذلك إلى غرضه العظيم الأهمية على حد تعبيره وهو مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وامتدت أحكامه المعتدلة كذلك بعد هاذين الشاعرين إلى كعب بن زهير رضى الله عنه، فقد أعجب بروكلمان بشاعرية كعب بن زهير (رضى الله عنه) وقد برده الشهيرة التي خلعها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلقد قال عنها:

”وهي من أشهر أشعار العرب وألبست الشاعر حلة مجدٍ لا يبلى“.¹⁰

2- رأى كارلوناينو الإيطالي:

كان كارلوناينو لينومن درس تاريخ الأدب العربي على طلبة كلية الآداب جامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً). وإذا ما نظرنا في هذا الكتاب وجدنا مؤلفه وقد أجاز لنفسه تقسيم الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في أوائل ظهور الإسلام أو في أيام الخلفاء الراشدين إلى ثلاثة أصناف بالإضافة إلى الدين الإسلامي:

- 1- الذين قالوا الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء أسلموا أم لم ليسلموا (ولكنه لم يذكرهم). فأكثرهم وأشهرهم في نظره من أهل المدر الذين كانوا يقدون في الجاهلية على الملوك.
- 2- الشعراء الذين قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبي وأغلبهم من أهل مكة، ولكنه غاب عنه شعراء من غير أهل مكة قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي.
- 3- شعراء أسلموا ولم يهتموا في أبياتهم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدين وهم أكثر شعراء البادية.¹¹

⁹ ديوان لبيد بن ربيعة، (بيروت: دارالكتب العلمية)، ص 174، 212.

¹⁰ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/156.

¹¹ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 104.

من كلام البشر ولا من كلام الجنّ وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه“¹⁶.

معاني القرآن و مبادئه

يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني متحدّثاً عمّا أعجزهم من القرآن المجيد:

”مزايا ظهرت لهم في نظمه - أي القرآن - وخصائص صادفوها في سياق لفظه، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير وترهيب وترغيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة وآية؛ فلم يجدوا في الجميع لفظه ينبو مكانها، أو ينكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو شبه أو أخرى أو أخلق؛ بل وجدوا اتساقاً بمر العقول ونظماً أعجز الجمهور، ونظاماً والتثاماً، واتفاقاً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم.....“¹⁷

أسلوب القرآن وخصائصه

أما أسلوب القرآن الحميد فمن خصائصه العامة هي كالآتي:

- 1- التكرار وذلك لتثبيت المعنى في الأذهان والتأثير في النفوس ومن السور التي يتضح فيها التكرار البليغ في سورتي القمروالمرسلات.
- 2- الالتفات هو انتقال من ضمير كأن ينتقل من صيغة الغائب إلى المخاطب أو المتكلم، كقوله تعالى: **وَحَشْرَبْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**¹⁸
- فقد تكلم عن المشركين بضمير الغائب في قوله: **”وَحَشْرَبْنَاهُمْ“** وضمير المخاطب في قوله: **”جِئْتُمُونَا“**.
- 3- ضرب المثل ومعظم أمثال القرآن محسوسة وذلك لتثبيت الأمور المعنوية ولتوضيح في الأذهان فلذلك قام عدد كبير من العلماء منذ العهد الإسلامي الأوّل بدراسة الإعجاز القرآني من جهة الجمال اللفظي والمعنى.

وجوه الإعجاز:

¹⁶ ابن كثير، الحافظ، تفسير القرآن العظيم، (بيروت، دار الفكر)؛ الدكتور الحافظ عبدالرحيم، أثر القرآن في الشعر العربي، مجلة البحث لكلية

الدراسات الإسلامية واللغات، جامعة بقاء الدين زكريا ملتان، المجلد 2، 2002، ص 80.

¹⁷ الجرجاني، الإمام عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية. ص 36.

¹⁸ الكهف: 47:16.

أما إعجاز القرآن فإنما نزل من رب العلمين على محمد وكان أميا لم يكن يعرف القراءة والكتابة ولم يجلس يوماً إلى كتاب، ولذلك لم يكن بمقدوره أن يكتبه هو فهذا دليل على أنه كلام الله، وبالإضافة إلى ذلك أن القرآن تحدى القوم، فقد عجزوا عجزاً كلياً عن مجاورة أسلوب القرآن وكان تحدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

1- تحداهم بالقرآن كله، فقل: قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا¹⁹

2- تحداهم بعشر سور منه، فقال: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ.

3- تحداهم بسورة واحدة منه، فقال: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ.²⁰

أما وجوه الإعجاز فقد ناقش هذا الموضوع البلاقاني وذكره ثلاثة وجوه وقسم الوجه الأخير إلى اثنتي عشرة صورة وعد الماوردي عشرين وجهاً وأضاف القاضي عياض عليها وجوهاً عديدة وبلغ عدد وجوهه أربعة وأربعين عند المتأخرين.

والحق أن موضوع إعجاز القرآن ووجوهه يحتاج إلى مقال مستقل وبالمناسبة هنا نقدم خلاصة ما ذكره كبار العلماء من وجوه الإعجاز.

1- وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته

تركيباً وزناً وعلت مركبات معنى بأن يوقع كل فن مرتبة العليا في اللفظ والمعنى.

2- الإخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: {سَيَهْرُمُ الْجَبْعُ

وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرُ²¹ وَ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ²²، المرغلبت الروم²³ وغير ذلك مما

أخبره بأنه سيقع فوق.

3- إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين كقوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا

كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا²⁴

4- نظمه و صحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

5- الفصاحة و غرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

19 بنى إسرائيل 88:15.

20 البقرة: 23.

21 القمر 45:27.

22 الفتح 27:26.

23 الروم 21:1-2.

24 هود 49:12.

6- أنه شئ لا يمكن التعبير عنه بأن الإعجاز يدرك ولا يمكن وصفها كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها.

إن القرآن ليس بمعجزة من حيث البلاغة والفصاحة و مراعاة المقام وحسن الترتيب والتنسيق فحسب بل سائر كلماته مزينة و مرصعة بنور إلهي بعيدة كل البعد عن إمكانية التبديل والتقليد، كما يقول الزركشي:

”الدليل على عظمة القرآن أنه غير قابل للتحريف والتغيير والتبديل“²⁵.

تأثير القرآن الكريم في الألفاظ

ونذكرها أهم الشعراء:

1- حسان بن ثابت رضى الله عنه:

وإذا ما أخذنا ننظر في مقام الشعراء وما ساهموا به بنصيب، وما جاهدوا به ألسنتهم، إلى جانب جهادهم بنفوسهم وسيوفهم، وجدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسهم بنصيب كبير في تصوير هذا الموقف النبيل الذي وقفه المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى ابن إسحاق مقطوعة شعرية لحسان بن ثابت رضى الله عنه سجلها ابن هشام في السيرة النبوية وإن كنا لانجدها في ديوانه.

قال حسان:

فما نخشى بحول الله قوماً	وإن كثروا وأجمعت الزحوفُ
إذا ما ألّبوا جمعاً علينا	كفانا حدّسهم ربُّ رؤفُ
سمونا يوم بدر بالحوالى	سراعاً ما تُضغَضِعُنَا الحثوفُ
فلم ترْغصبةً في الناس أنكى	لِمن عَادُوا إِذَا لَقِعَتْ كَشُوفُ
ولكنّا توكلنا وقلنا	مآثرنا ومعتقِلنا السُيوفُ
لقيناهم بما لمّا سمونا	وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفُ ²⁶

2- النابغة الجعدي قال:

الحمد لله لا شريك له ومن لم يقلها فنفسمه ظلما

²⁵ الزركشي، بدرالدين، البرهان في علوم القرآن: (بيروت: دارالفكر)، 4/90-91.

²⁶ ابن هشام، السيرة النبوية بشرح الوزير المغربي، الطبعة الأولى (بيروت: دارالفكر 1412هـ/1992م)، 1/22.

وفي الليل نهار يفرج الظلما
الأرحام حتى يصير دماء
يخلق منها الأبخار والنسما²⁷

ويتلو كتابا كالمجرة فسيرا

وكننت من النار المخوفة أحذرا²⁸

ولا صبروا به عند اللقاء
دجى الظلماء عنتا والغطاء
من أمر الله أحكم بالقضاء
وميكال فيا طيب الملاء²⁹

من القول المبين والسداد
لكم منّا إلى شطر المذاذ
توكلنا على رب العباد
بِكفك فاهدنا سبيل الرشاد³⁰

وأن النار مشوى الكافرينا
وفوق العرش رب العالمينا
ملائكة الإله مُسَوِّمينا³¹

الموج الليل في النهار
الخالق البارئ المصور في
من نطفة قدّها مقدرها
كما يقول:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

أقيم على التقوى وأرض بفعالها

3- كعب بن مالك قال:

لما حامت فوارسكم ببدرٍ
وردناه بنور الله يجالو
رسول الله يقدمنا بأمر
بنصر الله روح القدس فيها
يقول أيضاً:

أحيبونا إلى ما تجتديكم
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
إذا قالت لنا النذر استعدوا
لنظهر دينك اللهم إنا

4- عبدالله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق
وأن العرش فوق الماء حق
وتحمله ملائكة غلاظ

27 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثامنة عشرة)، ص 103.

28 المصدر نفسه، ص 101.

29 ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الغداء، البداية والنهاية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ)، 352/3، 4.

30 السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، (بيروت: دارالفكر)، 272/6.

31 ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (بيروت: دار الكتب العلمية،

1422هـ/2002م)، 305/3.

كما يقول:

يارب لولا أنت ما اهتدينا ولا تَصَدَّقنا ولا صَلَّينا
فأنزلن سَكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الكفَّار قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا³²

تأثير القرآن الكريم في المعاني

تأثر الشعراء بمعاني القرآن واستمدوا أفكارهم من روح الإسلام فاقتبسوا أنماطاً جديدة في التفكير والتعبير من الآيات القرآنية كما بدأ يردد هؤلاء الآيات القرآنية أو معانيها في كتبهم وخطبهم ووصياهم وأشعارهم. فتلحح أثرها بليغاً للمعاني القرآنية في الأدب العربي. وساروا على منهج جديد حيث تناولوا كلمات القرآن ومعانيه كالجنة، والنار، والثواب، والعقاب وكالاعتزاز بالإسلام بدل الاعتزاز بالقبيلة، كما يقول الخطيب:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم
يا قيس، لا تجب النداء فمالنا نسبه نجيب به سوى الأنصار
نسب تحيِّره الإله لقومنا أثقل به نسبا على الكفار³³
يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه:
أعيني الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن نحمو ذماركم وماء بدر زعمقم غير مئورود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود
مبارك كضياء البدر صورته ماقال كان قضاء غير مردود³⁴
ويقول أيضاً:

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموت من عل
وأن أبا يحيى ويحي كلاًهما له عمل في ديه مُتَقَبَّل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسل أتى من عند ذى العرش مرسل

32 المصدر نفسه، 282/4.

33 ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، (بيروت: دارالكتب العلمية)، ص 55.

34 المصدر نفسه، ص 55.

- وَأَنْ أَحَا الْأَحْقَافَ إِذْ يَعْدَلُونَهُ
قال أبو بكر صديق رضى الله عنه:
أَرَى مِنْ لُؤْيِي فِرْقَةَ لَا يَصْصُدُّهَا
أَتَاهُمْ رَسُولٌ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَمَّقُوهُمْ
وَإِنْ يَرْكَبُوا طَغْيَانَهُمْ وَضَلَّاتِهِمْ
كما يقول:
- فصلى الإله إله العباد
فكيف الإقامة بعد الحبيب
فليت الممات لنا كلنا
قال كعب بن مالك:
- فينا الرسول شهاب تم يتبعه
الحق منطقة والعدل سيرته
يمغى ويذمرنا عن غير معصية
ليس سوا شتى بين أمرها
قال كعب بن زهير:
- أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
فَقَدْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ مَعْتَدِرًا
إِنَّ الرَّسُولَ لِنُورٍ لَسِيْتِضَاءَ بِهِ
زَالُو فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ
- يقوم بدين الله فيهم فيعدل³⁵
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
وقالوا: لست فينا بما كثر
عن الحق إدبار الكلاب اللّواهث
فما طيبات الحلّ مثل الخبائث
فليس عذاب الله عنهم بلابيث³⁶
- وأهل البلاد على أحمد
بين المحافل والمشهد
وكُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمَهْتَدَى³⁷
- نور مُفِيء له فضل على الشهب
فمن يُجِبُه إليه ينج من تب
كأنه البدر لم يطبع على الكذب
حزب الإله وأهل الشرك والنُصب³⁸
- والعفو عند رسول الله مأمول
العذر عند رسول الله مقبول
مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْئُولُ
عند اللقاء وَلَا مِيلَ مَعَازِيلُ³⁹

35 ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، ص189.

36 ديوان أبو بكر صديق رضى الله عنه، الدكتور عمر الطباع، (بيروت: دارأرقم، 1420هـ/1999م)، ص138.

37 ديوان صديق رضى الله عنه، ص152.

38 عبدالرحيم، محمد، موسوعة روائع الأدب الإسلامي، (بيروت: دار الراتب الجامعية)، ص61.

39 ديوان كعب بن زهير، (بيروت: دارالكتب العلمية)، ص335.

تأثير القرآن الكريم في الصياغة والأسلوب

ويبدو أن كعب بن مالك كثير القراءة للقرآن والحفظ له والامتزاج بروحه إضافة إلى ما يبدو في شعره من ألفاظ وأساليب، تنطلق من مخزونه القرآني لتنتظم في شعره بانسجام واتزان، وهو في تلك الميزة ومن تسرب الأسلوب القرآني في شعره له:

1- كعب بن مالك

صبرنا لانرى يالله عدلاً
وكان لنا النبي وزير صدق
لننصر أحمد والله حتى
ويعلم أهل مكة حين سادوا
بأن الله ليس له شريك
على مانابنا متوكلينا
به نعلوا البرية أجمعينا
فكون عباد صدقٍ مخلصنا
وأحزاب أتوا مُتَحَيِّرِينَ
وأن الله مؤلّى المؤمنين⁴⁰

2- فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكورت
فالأرض من بعد النبي كئيبه
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه
قال أبوبكر صديق رضى الله عنه:

يأربّ ما يخشى ولا يضيّر
كم من صغير عقله كبير
ومن كبير عقله صغير
والله ربي واحد قدير
ليس له في فعله مُشِير
شئاً وقد ضاقت به الصدور
ومن كبير عقله كبير
وفي البحور تغرق البحور
تجرى كما يشاؤه الأمور
ولا تغير كونه الدهور⁴¹

5- قال كعب بن مالك رضى الله عنه:

وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً
وجاءهم من الله النذير

40 ابن كثير، البداية والنهاية، 4/3، 142.

41 عبدالرحيم، محمد، ديوان فاطمة الزهراء، (دمشق: دارقنينة، 1421هـ/2000م)، ص389.

42 ديوان صديق رضى الله عنه، ص164.

نذير صادق أَدَّى كتاباً
فقالوا ما أتيت بأمر صدقٍ
فمن يتبعه يُهد لِكُلِّ رُشدٍ
أرى الله النبيّ أي صدقٍ
فأيدّده وسلّطه عليهم

وآيات مُبَيِّنَةٌ تُنير
وأنت بمنكر منّا جدير
ومن يكفر به يجز الكفور
وكان الله يحكم لايجور
وكان نصيره نعيم النصير⁴³

6. قال النابغة الجعدي:

الحمد لله لا شريك له
الموج الليل في النهار وفي
الخافض الرافع السماء على
الخالق البارئ المصور في
من نطقه قدّها مقدرها

من لم يقلها فنفسه ظلما
الليل نهاراً يفرج الظلما
الأرض ولم يبين تحتها دعما
الأرحام ماءً حتى يصير دما⁴⁴
يخلق منها الأبخار والنسما⁴⁴

وفي نهاية القول إن القرآن الكريم لفظاً ومعنى وأسلوباً قد أثر على نفوس الأدباء العرب، فصارت الآيات القرآنية ومعانيها وأفكارها وأساليبها تتردد في قصائدهم وخطبهم ورسائلهم وكتبهم ووصاياهم وأشعارهم.

فمن يقرأ الأدب الديني ويتدبره يزداد إيماناً بما فيه من أثر القرآن العزيز. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا جميعاً بما فيه من خير وسعادة.

43 موسوعة روائع الأدب الإسلامي، ص 127.

44 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء (بيروت: دار الكتب

العلمية، 1421هـ/2000م)، ص 166